الفصل الأول

اللاهوت العملي

ظل جيم رصينًا مقلعًا عن الإدمان لسنوات عديدة. وهو عمل مدهش لشخص ظل سكّيرًا لنحو نصف عمره البالغ خمسة وأربعين. كانت فرصة طيبة أن نلتقي معًا على الغداء، لنحتفل معًا ونحيي الذكريات. لكن عندما دخل إلى المطعم، رأيت أن هناك ما يضايقه.

قال لي وهو يجلس: «إنني غاضب من الله لأنه أعطاني هذه المشكلة مع الخمر. لا يضطر معظم الناس في العالم إلى الصراع للبقاء بعيدين عن الرشفة التالية كل أيام حياتهم. لكنني أصارع، وهذا ليس عدلًا».

ومضى يقول إنه فقد اهتمامه بالكنيسة لأنها لا تخاطب احتياجاته. وكان يجد معونته ورفقته في اجتماعات جمعية مدمني الكحول المجهولين AA (برنامج ١٢ خطوة للتعافي).

لقد عرفت أن تفكير صديقي بشأن إدمان الخمر لا يشكّله تعليم الكتاب المقدّس. لكن تمت صياغته بمزيج انتقائي من اجتماعات المدمنين المجهولين والكتاب المقدّس والشريحة التي حملها على كتفه لسنوات. لكن لماذا انتقاد نقاط التعليم عندما يكون المهم هو رصانته وإفاقته من الخمر؟

يقول الكتاب المقدّس بمنطق سليم: «**لاَحِظْ نَفْسَكَ وَالتَّعْلِيمَ وَدَاوِمْ عَلَى ذٰلِكَ**» (تيموثاوس الأولى٤:١٦). عندما قال جيم إنه غاضب من الله، أدركت إن التعليم أو الفكر اللاهوتي يصنع فرقًا[١].

* الطريقة الوحيدة للغضب من الله هي إذا اعتقد أن تركيبته الجينية هي الملومة عن تاريخه من الأكاذيب وتعاطي الخمر أكثر منه ذاته. فالاشتياقات، بصفة خاصة، يفترض إنها خارجة عن السيطرة.

* وبالإضافة إلى ذلك، هناك فكر لاهوتي يسمح له بالتفكير، إنه شخص صالح روحيًا. نتيجة لذلك، امتلكه الله.

* لماذا أصبح أقل اندماجًا في الكنيسة؟ هل من الممكن أن الفكر اللاهوتي الانتقائي لديه يعرّفه إنه مدمن خمر أكثر من كونه مسيحيًا مؤمنًا، ولذلك فإن أسرته الفعلية هي أسرة مدمني الكحوليات/المخدرات المتعافين؟

* ألم يدرك جيم أن النمو في الصلاح، ليس عملية تتم في ليلة واحدة؟ فلا بد إن الفكر اللاهوتي لديه يخبره بأن الحياة المسيحية ينبغي أن تكون سهلة وأن يكون التغير سريعًا. إن التعليم عن التقديس التدريجي المتنامي ينبهنا إلى أن النمو الروحي يظهر تدريجيًا، مع بعض المطبات والكدمات على مر الطريق.

والغريب في تفكير جيم هو إنه يعرف الفكر اللاهوتي الكتابي الصحيح. فهو خريج مدرسة لاهوتية، كما إنه دارس للكتاب المقدّس. وقد درس بعضًا من أعظم وثائق الكنيسة وقوانينها واعترافات الإيمان فيها ووافق

١ الفكر اللاهوتي له معنى ضيق ومعنى واسع. فالضيق هو دراسة ما يقوله الكتاب المقدّس عن الثالوث. والواسع هو دراسة ما تكشف عنه الأسفار المقدّسة ككل، وليس فقرة واحدة أو أكثر، عن مجموعة عريضة من الموضوعات، ومنها الإدمانات.

على كل ذلك وقبله. في الحقيقة، كان معلمًا لعلم اللاهوت في كنيسته. فكيف إذن، يؤمن بعلم اللاهوت الصحيح ثم في الوقت ذاته لا يؤمن به؟ كيف يمكن أن يكون الفكر اللاهوتي اليومي لديه أو الفكر اللاهوتي العملي[٢]، مناقضًا لما ردده في الكنيسة في أيام الآحاد؟

لسنا نعلم بماذا نؤمن

أحد أسباب عمل جيم بنظامين متناقضين هو إنه لا يعرف بماذا يؤمن. فليس لديه فكر لاهوتي عملي. حقًا إنه يعرف المبادئ اللاهوتية الأساسية الحقيقية. فهو يعرف إننا خطاة. ويعرف إن يسوع مات على الصليب وقام من الموت. لكن هذه الحقائق لا تتكلم عندما يدخل في تجارب. فهي لا تبدو عملية له أو ذات صلة به. فعلم اللاهوت يخبره بأن هناك سماءً، يرجو أن يذهب إليها، لكنه لا يخبره كيف يعيش. وهو لا يرى فائدة حالية لصليب المسيح. وبدون قيادة الكتاب المقدّس له في تفاصيل حياته، سيجد إن المعتقدات الأخرى تفعل ذلك.

إننا نميل إلى التطلع إلى الكتاب المقدّس من أجل الحياة الآتية. لكن منذ الثورة العلاجية النفسية في ستينيات القرن الماضي، بدأ المجتمع المسيحي يميل إلى التطلع إلى العلاج النفسي الدنيوي طلبًا للإرشادات عن كيفية المعيشة الناجحة الآن. فمثلًا، المبادئ غير الكتابية، والتي تدور حول تقدير الذات وحقوق الأفراد والمركزية المزعومة لنجاح الشخص وأهميته، تؤدي تأثيرها على تفكيرنا وتلقي ظلالًا على الحق.

٢ اللاهوت العملي ببساطة هو الفكر اللاهوتي الفاعل. إنه تطبيق التعليم اللاهوتي في الحياة. إنه التساؤل: وماذا أيضًا، عن المسائل اللاهوتية. ما الفرق الذي يحدث باتحادي مع المسيح؟ ما معنى إن بعض الناس يعبدون الأصنام (الأوثان)؟ ما الفرق الذي يحدث من كوني مخلوق على صورة الله؟ كل الفكر اللاهوتي هو فكر لاهوتي عملي، لكن هناك بعض العبارات اللاهوتية تنتظر الكشف عن تطبيقاتها.

في عالم الإدمانات، تضبط اجتماعات مدمني الكحوليات/المخدرات المجهولين AA المناقشة، حتى في داخل الكنيسة. يبدو هذا الأمر كخبر سار بالنسبة للمسيحيين، حيث إن هذه الاجتماعات بالقطع، مؤسسة على المبادئ الأخلاقية، ولها خبرة سنوات، وتبدو إنها ممثل جيد للحكمة العملية. ومادتها ليست من الكتاب المقدّس، ولا تزعم أنها مسيحية. ومع إن لها جذورًا فيما يسمى بحركة أوكسفورد، وبعض المشاركين فيها من المسيحيين المتميزين، أراد Bill Wilson نظامًا يكون متاحًا لكل واحد. ولكي يتمم ذلك، قام مع زملائه بتطوير المبادئ المريحة المناسبة لكل مكان (إلا إنني لا أعتقد أن Bill Wilson قد استشرف أن مادته ستتناسب في النهاية مع الملحدين).

والنتيجة هي إن ما يرشد تفكير الكثيرين من الذين يجاهدون مع المخدرات والخمور، هو مجموعة متوافقة من المبادئ والمعتقدات تتضمن مبادئ جمعية المدمنين المجهولين AA، وعلم النفس الشعبي، وأقسامًا من الكتاب المقدّس، وسمات متنوعة من الثقافة الأمريكية. ليست كل هذه المعتقدات سيئة، لكنها يقينًا، بحاجة إلى المراجعة والفحص. وككل برنامج من تصميم الإنسان، ينبغي فحصها ومراجعتها وتطويرها لكي تقترب إلى حق كلمة الله. لكن الأهم إنه ينبغي علينا أن نرجع إلى التعاليم الكتابية الأساسية، تلك التعاليم المقبولة عامة لدى معظم الكنائس الإنجيلية، ونجعلها عملية. عندما يتحدث الكتاب المقدّس عن العبودية للخطية، ما الذي يعنيه ذلك لنا اليوم؟ ماذا عن عبادة الأصنام والشهوة؟ ما علاقتها بالإدمانات؟ ما معنى الامتلاء بالروح وليس بمادة

مخدرة أو مُسكرة (أفسس ٥:١٨)؟ عندما نلتقي مع تعليم كتابي واضح لا بد أن نقول: «وماذا في ذلك؟»، «ما معنى ذلك بالنسبة لطريقة حياتي، وكيف أحارب الرغبات غير المشبعة؟». هكذا نمارس اللاهوت العملي.

إليك سؤال: هل لديك تمسك جيد بغنى المادة الكتابية التي تتحدث بدقة عن مشكلة الإدمانات الحديثة؟ هل يمكنك أن تتصفح أي سفر من الكتاب المقدّس، حتى لو لم يتحدث صراحة عن الخمر أو الطعام أو الجنس، وترى كيف يتحدث إلى الإدمانات؟ فكّر في ذلك. إن كانت الإدمانات سائدة كما تبدو، فلا بد أن نفكر بأن يكون الكتاب المقدّس منشغلًا بهذا الصراع. وهذا هو الحال.

إننا لا نصدق ما نؤمن به

عندما يأتي الحال إلى الإدمانات، لا يملك جيم فكرًا لاهوتيًا يوميًا. فلا يجد الكتاب المقدّس حيًا أمامه عندما يحاول أن يطبقه على معاركه اليومية. وبالعكس، إن جهاده ضد الكحول انقطع عن معرفته بالأسفار المقدّسة.

ولا يواظب على التساؤل: ما علاقة هذه الفقرة (أو العظة أو الترنيمة)، برغبتي في شرب الخمر؟ لكن هناك سببًا آخر لعدم تأثير الفكر اللاهوتي لدى جيم على أسلوب حياته. أحيانًا لا يكون الأمر إن ما تعلّمناه قليل أو إننا لا ندرك ما يقوله الكتاب المقدّس، ولكن إننا لا نريد أن نصدّق الحق الذي لدينا. وحتى عندما نعرف الحق، فإننا لا نريد منه أن يرشدنا في حياتنا دائمًا.

تأمل مثلًا، العبارة اللاهوتية الشهيرة في الكتاب المقدّس: يسوع ربّ. لقد ترنم بها جيم وعلّم بها. وربما أكد بكلمة آمين، عند المناداة بهذا الحق. لكن عندما يأتي الأمر إلى الأشياء التي يرغبها، كالخمر، لا تكون عبارة «يسوع ربّ»، هي التعليم اللاهوتي العملي لديه.

عندما تتصارع رغباتنا مع الأسفار المقدّسة، فإن الإنسان لا يعيش دائمًا بالطريقة التي يقول إنه يؤمن بها. يمكن أن نقول إننا نؤمن بشيء واحد، لكن حياتنا تكشف عن ولاءات أخرى. قد يقول الزوج إنه يحب زوجته، لكن تصرفاته تكشف إنه يحب العادات الإباحية أو علاقات المغازلات الجنسية في العمل. وربما تكون المرأة تابعًا صريحًا للرب يسوع، لكن عندما تشعر بالوِحدة تتبع علاقاتها الجنسية لتشبع إحساسها بالفراغ. فتكشف حياتها إنها في داخلها تتبع شهواتها. ربما يرنم جيم قائلًا: «يسوع يملك قلبي»، لكن تعاطيه للخمر يشير إلى إنه يريد ليسوع أن يملك عندما لا تتصارع رغباته مع وصايا الله.

هل هناك من لم يختبر تلك المعركة داخله؟ فكأن هناك أقسامًا في داخل العقل، حيث المعتقدات المتناقضة والسلوكيات المتعارضة، تعيش في حجرات منفصلة ولا تلتقي قط. إنها ظاهرة المسيحي يوم الأحد. ففي يوم الأحد قد يكون الإنسان المسيحي متعبدًا قويًا للإله الحقيقي، لكن في بقية أيام الأسبوع يعيش حياة روحية مستهترة، ربما بدون وخزات الضمير، كما لو إن الله غير موجود. هذه التقسيمات غالبًا ما تستغرق سنوات في بنائها، حيث نعمل باجتهاد لكي نضع الحق على الحافة. وحينما تظهر هذه التقسيمات تكون فعّالة للغاية.

لقد تم وصف كل هذه الأمور بجدارة في الكتاب المقدّس. ففي الأصحاح الأول من الرسالة إلى أهل رومية، يقول بولس إننا جميعًا نعرف أمورًا كثيرة عن الله وعن ناموسه، لكنا نكتم هذه الحقائق عندما تتداخل مع احتياجاتنا ورغباتنا. ونتيجة لذلك، نكون كمن يمارس ديانتين مختلفتين. فنحن نؤمن بشيء، لكننا فعليًا نصدق شيئًا آخر. فمجموعة من المعتقدات تقول إن يسوع هو ابن الله الذي قام من الموت. إنه الربّ ويستحق تكريسنا وعبادتنا وطاعتنا. أما المجموعة الأخرى فتقول إننا نفضل درجة معينة من الاستقلال في حياتنا. فيمكننا نحن، وليس الله، أن نضع القوانين التي نحيا بها. في الحقيقة يمكننا أن نطور ديانة تحررنا من السير في تواضع وامتنان أمام الله. وبالعكس، تخول لنا أن نطلب حقوقًا معينة من الله، هذا لو إن الله سيكون جزءًا من نظامنا الديني.

كيف يمكنك استكشاف هذه المعتقدات الزائفة؟ ابدأ بالبحث عن الأمور التي تفعلها سرًا في الخفاء. هل تعيش في العلن بشكل مختلف عنه في الخفاء. هل تسمح لخيالك أن ينغمس في خيالات شريرة؟ لو كان كذلك، حتى وأنت تعلم إن الله يرى كل شيء، إذن، فأنت تختبر فكرًا لاهوتيًا بديلًا، يقول إن هناك بعض الأماكن لا يمكن لله أن يجدك فيها.

كانت مجموعتا جيم من المعتقدات متناقضتين وفي صراع واضح. عندما دخل ليأكل أمكنه أن يقدم تقريرًا سليمًا مستقيمًا، عن الفكر اللاهوتي لديه، لكن سلوكه وكلامه يشيران إلى إنه عضو مكرّس في ديانة الجيمية الخاصة به، وفيها يبرر غضبه من الله وحكمه عليه.

إلا إن جيم لم يرَ أن كل هذه الأمور تمضي تحت سطح إدراكه الواعي. وما زال بإمكانه بضمير حي، أن يوقع باسمه على أكثر العبارات اللاهوتية استقامة. أما معتقداته الحقيقية، وهي الموجه الأخلاقي الفعلي في حياته، فتفضل أن تظل مختفية تحت السطح، حيث يمكنها أن تخدعه وتتجنب مواجهة الحق.

وهذه طريقة لطرح السؤال: هل أنت مستعد بالحقيقة للتفكير في معنى ما تقرأه، خاصة بالإشارة إلى الإدمانات «**أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمُ، الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللهِ، وَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ؟ لأَنَّكُمْ قَدِ اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ. فَمَجِّدُوا اللهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمُ الَّتِي هِيَ للهِ**» (كورنثوس الأولى ٦:١٩-٢٠)؟

الآخرون يمكنهم المساعدة

إن فكرة قدرة الخطية على خداعنا وكتمان الحق لكي نصدق الكذب، ينبغي أن تبعث القشعريرة في داخلنا. إن خداع الآخرين شيء مختلف، وهو أمر مخيف. بل إنه أكثر رعبًا عندما ندرك أن كل كذبة نطرحها تجعلنا أكثر خداعًا لأنفسنا. وكل ممارسة لخطية تعلّمنا أن نصدق الأكاذيب. كما إننا لا نعتبر التأثير الملتوي للخداع. وفي النهاية سيصيبنا خداعنا.

الأخبار السارة، لو كنا مستعدين لقبولها، هي إن الله يستخدم الآخرين لمساعدتنا في الرؤية. وكما شاهدنا بلا شك، في أنفسنا أو في غيرنا، ربما تعمى عيوننا عن قلوبنا، لكن الآخرين يمكنهم غالبًا، رؤية مشاكلنا بكل وضوح. يمكن للآخرين تحديد خداعات الذات فينا والمعتقدات الواقعية

داخلنا أكثر مما يمكننا نحن أنفسنا. هذا ينطبق على كل واحد، لكنه يميل إلى الوضوح بصفة خاصة، في حالة إدمان المخدرات أو الكحوليات. قد يكون استعباد المدمن واضحًا بصورة مؤلمة، لكن المدمن لديه نظام بديل ينادي قائلًا: «يمكنني أن أتوقف في أي وقت أريده»؛ «إنني مسيطر على الموقف»؛ «إنهم على خطأ وأنا على صواب». وهذا أحد أسباب إنه من الحاسم لكل واحد منا أن يكون مسؤولًا عن الآخرين وأن يوجد أشخاص في حياتنا عندهم استعداد أن يقولوا لنا أمورًا صعبة. نريد أشخاصًا يعرفوننا ويقولون لنا الحق بمحبة، كما فعل ناثان النبي مع داود الملك (صموئيل الثاني١٢:١-١٤).

كيف يمكن تطبيق ذاك على جيم؟ إن قول الحق في محبة، في حالة جيم، ليس معناه مواجهة تعاطيه للكحول في حد ذاتـه. لقد ظل جيم رصينًا فائقًا من الخمر لمدة عام. وعوض ذلك، سيكون الأمر مواجهة لديانته الزائفة التي مجدت راحته الذاتية وشهواته الخاصة. يتوافق جيم مع وصف مجموعة AA لحالة الثمالة الجافة، الذي لم يعد يتعاطى الخمر، لكنه لم يتغير فعليًا. لقد تغير تعاطي جيم الفعلي للخمر، لكن ظلت كل المعتقدات التي دفعته إلى الشرب موجودة. التغيير الحقيقي ينبغي أن يكون أعمق من مجرد الرصانة والإقلاع عن الإدمان.

لقد أخبرنا الله بكل ما يلزمنا معرفته

هذا هو ما تصل إليه الدراسة اللاهوتية. فاللاهوت العملي يحمينا من خداعات القلب ومنافسة مبادئ العالم وقيمه. ويضع الحدود لحياتنا.

والشيء الأفضل، إن الفكر اللاهوتي الدقيق نوع من خرائط الكنز. فهو يرشدنا ويجبرنا على البحث الدؤوب في الكتاب المقدّس عن المزيد من الحقيقة المعنية المستنيرة النافذة المغيرة للحياة. الكتاب المقدّس يقدم مطالب جريئة. فيقول إنه يقدم لنا كل ما نحتاجه للحياة والتقوى (بطرس الثانية ١:٣).

للوهلة الأولى لا يبدو إن الكتاب المقدّس لديه كل الإجابات لشهواتنا المنفلتة. وكنتيجة لذلك، نتجه أحيانًا إلى الملاحظات المرتعشة «لخبراء» في مجتمعات الصحة العقلية. لكن إن كانت العبارة التالية حقيقية: «**كَمَا أَنَّ قُدْرَتَهُ الإِلهِيَّةَ قَدْ وَهَبَتْ لَنَا كُلَّ مَا هُوَ لِلْحَيَاةِ وَالتَّقْوَى**» (بطرس الثانية١:٣)، فربما كان هناك العديد من الأفكار الجديدة والمبادئ الحديثة لحياة الإنسان وتحرره، ما زالت متاحة أمامنا في الكتاب المقدّس. الأسفار المقدّسة مزدحمة بالحق والمعنى. وبالكيفية ذاتها، يمكن للإنسان أن يقرأ الكتاب المقدّس باستمرار ويظل يجد فيه معنى جديدًا. ولذلك فالأرجح إن عملية فحص الكتاب المقدّس المستمرة في تطبيقها على الإدمانات، تنتج المزيد من التعليم المرتبط بالموضوع. فليس إلهنا بخيلًا في استعلان ذاته والحق الخاص به.

فلا تتوقع إذن، أن تجد هذا الاستعلان في صورة كتاب مرجعي عن اللاهوت. بل بالعكس، توقع أن تكون في صورة سيرة ذاتية. نعم، سيكون هناك مبادئ وشعارات، لكن لا ينبغي أن نتوقع أي شيء ينتهي إلى ما يشبه الخطوات الاثنتي عشرة. فالكتاب المقدّس يوجهنا نحو يسوع المسيح. فهذه قصته. فالتحرر يأتي من خلال شخص وليس من خلال

منظومة الأفكار والمبادئ. فكل ما نحتاجه «**للحياة والتقوى**» يأتينا في النهاية «**من خلال معرفته (يسوع المسيح)**» (بطرس الثانية ١:٣). والمبادئ التالية تُعلن شخص المسيح. وهي تسن في حياتنا بطريقة روح المسيح، وسبب اتباعنا لها هو تمجيد المسيح. وأي شيء آخر ليس مسيحيًا حقيقيًا.

كلمة عن الإدمانات

ونحن نبدأ، تذكر إننا ننتقل إلـى عالم يمكن للناس فيه بسهولة أن يتكلموا من خلف بعضهم البعض. والكلمات مثل: الخطية والمرض والله والروحانية، وغيرها من الكلمات الشائعة، يمكن أن يكون لها تعريفات مختلفة، مما يجعل الحوار صعبًا بصفة خاصة. وهذا معناه ضرورة وضوح اللغة والتعريفات. وأول كلمة ينبغي التفكير فيها هي كلمة **الإدمان** ذاتها.

في الاستخدام العام صارت كلمة «**إدمـان**» مطاطة ومرنة للغاية وتصنيفًا غامضًا مبهمًا يتضمن كل شيء، بداية من الأمر التافه (إدمان نشرة أخبار السادسة مساءً)، إلى الأمر الجلل القاتل (إدمان الخمر). كما تتضمن كذلك فئات غير متكافئة من المرض والخطية. وبسبب التعريفات الغامضة، هناك رأي متزايد باحتياجنا إلى كلمة مختلفة. ولأنه لا يوجد اتفاق على مصطلحات جديدة، فسأستخدم كلمة « **إدمان**»، ولكن بتدقيق.

تستخدم كلمة» **إدمان**»، مثلما فعلنا في هذا الكتاب، **لوصف** اختبارات معينة وسلوكيات محددة. وسأحاول، في البداية على الأقل، أن أميز «**أوصاف**» السلوك عن «**تفسيرات**» السلوك. ويمكننا جميعًا أن نتفق على الوصف الفعلي للإدمان، لكننا نميل إلى وجود اختلافات في التفسيرات الفعلية. تميل كلمة **إدمانات** في استخدامها العام، إلى أن تكون كلمة يرتبط فيها الوصف بالتفسير البيولوجي. ومع انفتاح فصول هذا الكتاب يبدأ رأي كتابي عن الإدمانات في أن يحمل معه تفسيرًا، لكنه يختلف عن الجزء الدنيوي المقابل له.

وصف الإدمانات

ما هو وصف الإدمانات؟ كيف يشعر المدمنون؟ يشعر المدمن كأنه مأسور ومنفلت. يشعر كأنه متعبد خسيس، كرس ذاته لشيء خطير. ويشعر بجوع وعطش شديدين لشيء ما. و يشعر بأنه لا يمكن أن يهرب من ذلك، متعلّقًا به حتى لو قدم له سلوك الإدمان متعًا قليلة وجرعة ألم كبيرة. ويشعر بأنه مقيد. ويشعر المدمن بأنه منفلت مستعبد مقيد يائس بلا رجاء في الحرية والنجاة. فهناك شخص آخر أو شيء آخر غير الله الحي، يتحكم فيه. وذلك الشيء المتحكم فيه يخبره كيف يحيا ويفكر ويشعر.

فمثلًا، يخبرك الكحول أن تضع شهواتك فوق اهتمامات أسرتك. والمواد الإباحية وصور الزنا الأخرى، تخبرك بأن اللذات الفورية تستحق ذاك، والأرجح إنك ستفلت ولن يضبطك أحد. أما القمار، فيؤكد لك إنك في ضربة الحظ القادمة ستكسب كثيرًا مع دوران عجلة اللعبة،

حتى مع وجود فرصة خسارتك وإفلاسك لبقية الشهر. بينما يقول لك الطعام: «المزيد من الطعام ويمكنك دائمًا أن تتخلص منه».

لأننا نعيش في ثقافة تشجع على انغماس الذات ينبغي ألا نندهش من وجود الإدمانات في كل مكان. يؤكد الكتاب المقدّس على أن الجنس والطعام والكحول (تصنيف يشمل العقاقير الحديث المُذهبة للعقل) هي أكثر الإدمانات شيوعًا. وتظل هذه الشهوات سائدة. إلا إن قائمة المواد المتسلطة المرجحة في تزايد مستمر. كان الإدمان من قبل، مصطلحًا مستخدمًا للتعبير عن شارب الخمر الثمل، لكن على مر العقدين السابقين تزايد مجالها بشكل خطير. إن قائمة مواد الإدمان، الآن، والشهوات، محدودة فقط بخيالنا الخاص، كما سنرى هنا.

الكحول	التمرين	الجنس
الغضب	المقامرة	الكافيين
المحبة	نقط الأنف	سرقة المتاجر
رفع الأثقال	الكوكايين	الكذب
النوم	العمل	الشيكولاتة
النيكوتين	الرياضات	المخاطرة
الألم	السكّر	النجاح والفوز
التليفزيون	الناس	المواد الإباحية

وما يوحّد هذه الأفعال ومعظم الأنشطة أو المواد الأخرى الموصوفة كإدمانات، هو إنها تقدم خبرة جسدية. فمعها نشعر بالمزيد من اليقظة، والكثير من الهدوء والسكينة، والقليل من الخجل، والمزيد من القوة.

وبالإضافة، فإن معظم الإدمانات تغيّر خبرتنا الجسدية، وتفعل ذلك بسرعة، إذ تعمل خلال ثوانٍ أو دقائق وليس في أيام أو أسابيع. ونتيجة لذلك، نـادرًا ما يدمن الناس على الفيتامينات، التي تستغرق شهورًا من الاستخدام الثابت المستمر لكي تحدث قدرًا محسوسًا من التغيير، لكنهم يظلون مدمنين للشعور سريع الحدوث المرتبط بالـفاليام أو الكحول أو الجنس أو حتى الألم.

ينتقد البعض المجال المتسع للإدمانات، زاعمين إنه عندما تمتد فئة امتدادًا شديدًا تفقد معناها. لكن كلمة الله تتوقع طريقة تطبيق هذا المصطلح على سلوكيات أكثر. والشيء الذي يقود الإدمانات يمكن أن يوجد في قلب كل واحد. فمثلًا، قد اختبرنا جميعًا الرغبات العنيدة التي لا تقبل الرفض ردًا عليها. فإن كنت تخشى الاعتراف بها اتخذ من قول بولس إرشادًا لك: «**فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ، أَيْ فِي جَسَدِي، شَيْءٌ صَالِحٌ. لأَنَّ الإِرَادَةَ حَاضِرَةٌ عِنْدِي وَأَمَّا أَنْ أَفْعَلَ الْحُسْنَى فَلَسْتُ أَجِدُ. لأَنِّي لَسْتُ أَفْعَلُ الصَّالِحَ الَّذِي أُرِيدُهُ، بَلِ الشَّرَّ الَّذِي لَسْتُ أُرِيدُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ**» (رومية٧:١٨-١٩). حقًا، إن «خبرة الإدمان خبرة إنسانية»[٣].

هذه النظرة الأوسع عن الإدمانات مهمة لأنها تدعونا إلى فحص ما يدفع إلى الإدمانات عوضًا عن التركيز على عقار مخدر واحد. ماذا عن الشعور الإنساني الذي يتركنا معرضين للانقياد إلى شهوات معينة؟ لماذا يسعى السكّير أو مدمن المخدرات أو المنهمك في التسوق القهري أو المنغمس سرًا في المواد الإباحية، إلى اشتهاء أمور خاطئة أو طائشة؟ لماذا نشتهي

3 William Lenters, The Freedom We Crave – Addictions: The Human Condition (Grand Rapids; Eerdmans, 1985), 4.

بإفراط أمورًا، قد تكون في ذاتها مشروعة (المال، واستحسان الغير، والراحة) لكنها تصبح شديدة الأهمية لنا؟ لماذا يكون لدينا وقت صعب في رفض شهواتنا؟ لأن أجوبة هذه الأسئلة تضرب في صميم إنسانيتنا، نجد أن التعاليم الكتابية مرتبطة بنا جميعًا.

اللاهوت العملي

في نهاية كل فصل، سيكون لديك فرصة لصقل مهارات الفكر اللاهوتي العملي لديك. اسأل نفسك: **ما هو التعليم الكتابي الآخر الذي يمكن إضافته هنا؟** واسأل: **ماذا في هذا؟** واسأل عن كل تعليم: **ما علاقة هذا بالحياة؟** إن كانت الأسفار المقدّسة مطبقة في هذا الفصل، فكّر في عشرين تطبيقًا آخر. إن أهدافنا هي انتعاش الأسفار المقدّسة لتصير حية، وتغيرها بطرق تطبيق الروح القدس لها في حياتنا.

عند مواجهتك للإدمان الخاص بك

١- الكتاب المقدّس يوسع الفئات دائمًا، لكي تشملنا جميعًا. فالموعظة على الجبل، مثلًا، تشير إلى أننا جميعًا قتلة. والفرق الوحيد هو أن بعض الناس يستخدمون البنادق بينما يستخدم غيرهم ألسنتهم (متى٥:٢١-٢٢). ما الذي يمتلكك بجانب المسيح؟ متى يمكن لرغباتك في الطعام أو الجنس أو المخدرات، أن تكبر إلى الدرجة التي تجعلها تمتلكك وتسيطر عليك؟

٢- ما هي الأمثلة التوضيحية التي لديك في حياتك الخاصة، التي فيها محاولاتك لخداع الآخرين تمضي جنبًا إلى جنب، مع خداعك لنفسك؟

٣- تأمل مكان الكتاب المقدّس في تفكيرك. هل يقدم لك رقابة شاملة على كل شيء؟ عند الحديث عن الإدمانات، غالبًا ما يوضع الكتاب المقدّس تاليًا لاجتماعات جمعية مدمني الكحول أو برامج التعافي ومجموعات المساندة المختلفة، عوضًا أن يكون فوقها مشرفًا عليها. فلنتعامل مع اجتماعات جمعية AA لمدمني الخمور وأبحاث الإدمانات مثلما نتعامل مع العمل والرفاهية والزواج والعزوبية وبقية الحياة: ليتم تفسيرها **فقط** من الكتاب المقدّس.

عند مساعدتك لشخص آخر

١- حينما ترى ميلك إلى الوقوع تحت سيطرة شهوات معينة، سيكون من السهل عليك أن تكون صبورًا مع الناس الذين صراعاتهم أوضح بكثير من صراعاتنا. هل تود أن تعترف بنفاذ صبرك أو افتقارك للحب لشخص يصارع مع الإدمانات؟

٢- هناك بالفعل إشارات إلى أن الإدمان عبودية. وحيث إن الأمر يستلزم قوة روحية للتحرر من العبودية، فهل ترى كيف أن الصلاة أساسية عندما تقدم العون لمدمن؟ هل تصلّي أنت كذلك؟ وكيف؟